رؤية
الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. الآية الكريمة ..

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

.. والتي تحمل دليلاً على أنَّ رؤية الله تعالى في الدنيا غير ممكنة ، زعم بعضهم أنَّها دليلٌ على إمكانيّة رؤية الله تعالى في الدنيا .. سنتوقَّف بإذن الله تعالى عندها ، لنفنّد مزاعم القائلين بأنَّ سؤال موسى عليه السلام في هذه الآية الكريمة لكي يرى الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ ، هو دليلٌ على إمكانيّة رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا .....

قالوا : لو كانت الرؤيةُ ممتنعةً لما سألها موسى عليه السلام .. وقالوا : إذا قلنا إنَّ موسى عليه السلام لم يكن عالماً بإمكانيّة عدم الرؤية ، فإنَّ ذلك انتقاصٌ منه ومن نبوّته ، وبالتالي يستشهدون بهذه الآية الكريمة على إمكانيّة رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا ..

.. وبالنظر في عبارات هذه الآية الكريمة نظرة تدبّر ، نرى أنَّ استشهادهم بها على إمكانيّة رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا ، هو افتراءٌ على كتاب الله تعالى ، وذلك للأسباب التالية :

١ – قول موسى عليه السلام ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ ، هو إقرارٌ منه عليه السلام ، بأنّه لا يستطيع رؤية الله تعالى بآليّته العينيّة التي ينظر من خلالها إلى هذا العالم ، وهو بقوله ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ يطلب أيَّ آليّة أُخرى ليرى الله تعالى بها .. فهو يقول : ربِّ اجعلني أتمكن من أن أنظر إليك وأراك ، أي : أُريد أيَّ آليّة أُخرى للنظر إليك ولرؤيتك ، فموسى عليه السلام بقوله ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ لم يكن جاهلاً بأنَّ الآليّة العينيّة التي تحكم رؤيته في هذه الدنيا لا تمكِّنه من رؤية الله تعالى ..... فموسى عليه السلام لم يكن جاهلاً بحقيقة عدم إمكانيّة رؤية الله تعالى بالآليّة العينيّة التي تحكمه ، أبداً ، ما طلبه عليه السلام هو آليّةٌ أُخرى تمكِّنه من رؤية الله تعالى .. هذا أوّلاً ..

٢ – أين المشكلة في أن يطلب نبيٌّ رسولٌ كموسى عليه السلام طلباً غيرَ ممكن ؟!!! .. ولماذا حسب زعمهم يقدح ذلك في نبوّته ؟!!! .. لماذا ؟!!! ألم يطلب نوحٌ عليه السلام من الله تعالى طلباً غير ممكن ؟!!! .. يقول تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٥ – ٤٧]

.. أليس قول الله تعالى لنوح عليه السلام ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ بياناً صريحاً بأنَّ طلبه ليس سليماً ، وبالتالي غير ممكن ، وبأنَّه طلب من الله تعالى طلباً عن غير علم بحقيقة المسألة التي طلبها وبنتيجتها ؟!!! .. أليس قول نوحٍ عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ بياناً صريحاً بأنَّ طلبَه ليس بمكانه ، وبالتالي غير ممكن ، وبأنَّه إن لم يغفر له الله تعالى يرحمه نتيجة طلبه غير الممكن هذا فإنّه سيكون من الخاسرين ؟!!! .. فكيف إذاً ينطلقون من قول موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ كدليلٍ على إمكانيّة رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا ، زاعمين أنَّه لا يمكن لنبي أن يطلب من الله تعالى طلباً غير ممكن ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

٣ – موسى عليه السلام بعد أن أفاق من الصعقة ماذا قال ؟ :

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

.. إنّ قوله عليه السلام : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ هو تنزيهٌ لله تعالى عمّا تقدّم ذكره ، حينما طلب رؤية الله تعالى ، فموسى بعد أن دُكَّ الجبل أمامه أدرك أنَّ رؤية الله تعالى تقتضي خضوعَ الله تعالى لقوانين المكان والزمان ، والله تعالى منزّه عن ذلك .. وبالتالي فعدمُ رؤيتنا لله تعالى في عالم المادّة والحسّ ، هو تنزيهٌ له جلّ وعلا ، لأنّ الزعمَ بإمكانيّة الرؤية يُلحق النقائص والنقائض بالذات الإلهيّة ، والله تعالى منزّه عن هذه النقائص والنقائض .. هذا ما تصوّره لنا الكلمة الأولى التي قالها موسى عليه السلام ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ ، بعد أن أفاق ..

٤ – قول موسى عليه السلام ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، تأكيدٌ آخر أنّه بطلبه رؤية الله تعالى قد طلب طلباً – فيما لو كان ممكناً – يُلحق النقائص والنقائض بالذات الإلهيّة ، وبالتالي فموسى عليه السلام طلب من الله تعالى قبول توبته نتيجة طلبه هذا ، ويؤكّد أنّه أصبح أوّلَ المؤمنين بأنّ رؤية الله تعالى في هذا العالم المادّي المحسوس غيرُ ممكنة ، ولا بأيِّ آليّة ، لأنّ كلَّ الآليّات المادّيّة لا تصلح لأن تكون مقدّمةً لإدراك ما فوق الكليّات ، ولرؤيته جلّ وعلا ..

.. إذاً رؤية الله تعالى في الدنيا مستحيلة .. هكذا يدرك كلُّ باحثٍ عن الحقيقة من دلالات كتاب الله تعالى ... ومن جهةٍ أُخرى نرى أنَّ استشهاد بعضهم بهذه الآية الكريمة على إمكانيّة رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا هو تحريفٌ للكلم عن مواضعه ، وخروجٌ فاضحٌ على دلالات كتاب الله تعالى .. فعندما يتمُّ الاستشهاد بالآية الكريمة التي تثبت استحالة إمكانيّة رؤية الله تعالى في الحياة الدنيا على نقيض ذلك وهو إمكانيّة رؤية الله تعالى ، فهذا يعني مهزلة ما بعدها مهزلة ..

.. أمَّا بالنسبة لرؤية الله تعالى في الآخرة ، فقد تمَّ الاختلاف فيها بين نافٍ لها ، محتجّاً بكلمة ﴿ لَن ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ في هذه الآية الكريمة ، وبين مؤكِّدٍ لوقوعها محتجّاً بالنصّين التاليين :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٣]

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطفّفين : ١٥]

.. وسنشرح الرأيين لنبيّن حقيقة كلٍّ منهما في معيار دلالات كتاب الله تعالى ..

.. الرأي الأوَّل الذي ينفي هذه الرؤية في الآخرة ، اعتبر كلمة ﴿ لَن ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] تفيد التأبيد الذي يشمل الآخرة ، بمعنى أنَّ الساحة المعنيّة بكلمة ﴿ لَن ﴾ تمتدُّ إلى الآخرة إضافة للدنيا ..

.. إنَّ قولَهم هذا لا يُعَدُّ دليلاً ، لماذا ؟ .. لقد وردت هذه الكلمة ﴿ لَن ﴾ في كتاب الله تعالى دون أن تفيد نفي المسألة المتعلّقة بها في الآخرة ، بمعنى لم يمتد النفي إلى الآخرة .. يقول تعالى :

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٩٤ – ٩٥]

فكلمة ﴿ وَلَن ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴾ تؤكّد عدم تمني هؤلاء للموت في الحياة الدنيا ، وهذا لا يقتضي استمرار ذلك التمنّي في الآخرة .. أبداً .. ففي الآخرة يتمنون الموت ، بل يطلبونه .. يقول تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤ – ٧٧]

.. إذاً .. الاحتجاج بكلمة ﴿ لَن ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] على عدم رؤية الله تعالى في الآخرة ، ليس برهاناً جليّاً يمكن اعتباره دليلاً على ما يذهبون إليه .. فكما نرى ترد في كتاب الله تعالى كلمة ﴿ لَن ﴾ لتفيد النفي في الدنيا نفياً لا يستمرُّ في الآخرة ..

أمَّا بالنسبة للذين ذهبوا إلى أنَّ رؤية الله تعالى في الآخرة واقعة بالنسبة للمؤمنين ، محتجّين بقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٣] ، فقد قالوا : قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ نصٌّ صريحٌ بوقوع رؤية الله تعالى في الآخرة ، ففهموا دلالات هذه العبارة القرآنيّة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ بأنَّها تعني رؤية الله تعالى في الآخرة ..

إنَّ احتجاجهم هذا ليس سليماً .. ولإدراك ذلك ، لا بدَّ أن نبيّن النقاط التالية :

١ – قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ نرى فيه اقتران النظر بحرف إلى ، وهذا مقدّمة للرؤية ، وليس اسماً لها ، فالله تعالى يقول ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وهذا يماثل نظر القلب إلى المعرفة ، ولا يقتضي حتميّة النظر المادّي الذي نرى به صورة الأشياء الماديّة ..

وهذا الوجه من المعنى نراه جليّاً في قوله تعالى ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٨] ، ففي هذه الآية الكريمة نرى وقوع النظر دون وقوع الرؤية .. فالرؤية هي غاية النظر ، والنظر لا يقتضي حتميّة وقوع الرؤية وهذا ما يبيّنه قول الله تعالى ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .. ففي هذه العبارة القرآنيّة نرى أنَّه تمَّ النظر ، دون أن يُبصروا .. هذا أوَّلاً ..

٢ – نرى في قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أنَّه تمَّ تقديم الجار والمجرور على كلمة ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ ، فالله تعالى لم يقل : (ناظرةٌ إلى ربّها) ، إنّما يقول ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وهذا التقديم يبيّن لنا اختصاصَ النظر وحصرَه ، بأنَّ الوجوه – في تلك الحالة – لا تنظر إلى غير ربِّها .. ومثال ذلك قوله تعالى في السورة ذاتها : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة : ١٢] ، بمعنى اختصاص مستقرّهم وحصره ، بأنَّ هذا المستقر لا يكون إلاّ إلى الله

تعالى .. وقوله تعالى أيضاً في السورة ذاتها ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ [القيامة : ٣٠] يعني اختصاص مساقهم وحصره بأنَّ هذا المساق لا يكون إلاّ إلى الله تعالى ..

.. إذاً .. النظر المعني في قوله تعالى هو مسألة مختلفة عن الرؤية .. فقوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، يبيّن لنا حصر نظر الوجوه المعنيّة إلى ربِّها دون غيره ، مع أنَّها ترى غير الله تعالى ..

٣ – لا يمكن الجزم بأنَّ كلمة ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ في قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ لا يمكنها أن تحمل معنى الانتظار ، على الرغم من اقترانها بحرف إلى .. فقوله تعالى الذي يصوِّر لنا حقيقة كلمات ملكة سبأ : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٥] ، واضح وجلي فيه أنَّ كلمة ﴿ فَنَاظِرَةٌ ﴾ تحمل معنى الانتظار ، وكذلك كلمة ﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] ، بمعنى فليتم الانتظار حتّى تكون هناك حالة من الميسَرَة ..

من هنا نرى كيف أنَّ معنى الانتظار محمول في قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، على الرغم من الاقتران بكلمة إلى ..

.. وممّا يؤكِّد صحّةَ ما نذهب إليه ، هو السياق اللاحق للآية الكريمة التي زعموا أنَّها دليلٌ على رؤية الله تعالى ..

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ – ٢٥]

فكما أنَّ الوجوه التي تظُنُّ أن يُفعلَ بها فاقرة هي منتظرة لما سيُفعَل بها ، بدليل قوله تعالى ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ .. كذلك فإنَّ الوجوه الناظرة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ هي في ذلك الموقف مرتقبة ومنتظره لعطاء ربّها جلّ وعلا ..

إذاً .. لا يمكن الجزم بأنَّ قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ دليلٌ قاطعٌ على رؤية الله تعالى في الآخرة ..

٤ – قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ نرى فيه صفة الربوبيّة المضافة إلى ضمير متعلِّق بالوجوه ، فكلمة ﴿ رَبِّهَا ﴾ مكونة من كلمة ربّ ومن حرفي الهاء والألف العائدين إلى الوجوه ..... وحتى في الآية الكريمة التي طلب فيها موسى عليه السلام أن يعطيَه ربُّه جلَّ وعلا أيَّ آلية لرؤيته ، نرى ورود صفة الربوبيّة أيضاً :

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ﴾

.. وتعلّق كلّ هذه المسائل بصفة الربوبيّة ليس عبثاً ، فصفة الربوبيّة تتعلّق بتسخير الأسباب للمسخَّر له تلك الأسباب .. وهذا يقوّي ما عرضناه في النقاط السابقة ..

.. وكما قلنا .. منهم من احتجَّ على رؤية الله تعالى في الآخرة بقوله تعالى :

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطفّفين : ١٥]

.. فقالوا : هذا نصٌّ صريحٌ يبيّن عدم رؤية هؤلاء المعنيين لله تعالى ، وبالتالي نستنتج من ذلك رؤية الآخرين (يعنون أهل الجنة) لله تعالى ، وإلاّ لما كان للتخصيص فائدة .. هكذا قالوا في احتجاجهم بهذه الآية الكريمة على رؤية الله تعالى ..

فملخَّص ما قالوه هو أنَّ كون أهل النار محجوبين عن ربّهم جلّ وعلا ، وكون ذلك ذُكِر في كتاب الله تعالى ، فإنَّ ذلك يقتضي – حسب قولهم – رؤية أهل الجنّة لله تعالى ..

وهنا أيضاً لا يمكن اعتبار دلالات هذه الآية الكريمة مقدّمة للجزم برؤية الله تعالى في الآخرة ، لماذا ؟ .. الحجب هو المنع ، ولا يُوجَد في الآية الكريمة ما يؤكِّد أو ينفي أو يشير إلى أنَّ هذا الحجب هو عن الرؤية ، فالحجب يُحتَمل في الكثير من المسائل ، كالرحمة والقربى والعطاء وَ.....

صحيحٌ أنَّ قولَه تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ، يُثبت وجود حجبٍ عن ربِّهم يومئذٍ ، ولكن ، لا يثبت أنَّ هذا الحجب هو عن رؤية الله تعالى .. أبداً .. فالحجب له تعلُّقه بالكثير من المسائل الأُخرى ..

وما يقوِّي تعلُّق الحجب بالمسائل الأخرى غير الرؤية ، هو التعلُّق بصفة الربوبيّة المضافة إلى ضمير متعلِّق بالمعنيّين ، وكلمة ﴿ رَّبِّهِمْ ﴾ في قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ واضحة في ذلك ..

إنَّ صفة الربوبيّة تتعلَّق بها أمور تسخير الأسباب للمسخَّر له تلك الأسباب .. وهذا ما رأيناه أيضاً في قوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وما رأيناه أيضاً في قوله تعالى [﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾] في قصّة موسى عليه السلام كما رأينا .. فليس من العبث أن ترد صيغة الربوبيّة في هذه النصوص جميعها ..

أمّا الاحتجاج بالروايات على مسألة من كبريات مسائل العقيدة كمسألة رؤية الله تعالى في الآخرة ، دون أيِّ دليلٍ جليٍّ من كتاب الله تعالى ، فهذا ليس من العلم الحقّ في شيء ، وهذا خروجٌ على أمر الله تعالى ، حيث يأمرنا الله تعالى ألاّ نرفع أيَّ نصٍّ خارج دفتي كتاب الله تعالى إلى مستوى الإيمان الكامل الذي نؤمن به بكتاب الله تعالى ..

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦]

فعندما يقول تعالى لنا ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فهذا يعني أمراً إلهيّاً لنا بأن لا نؤمن إيماناً موازياً بإيماننا بكتاب الله تعالى ، وذلك بأيِّ نصٍّ خارج دفتي كتاب الله تعالى .. وبالتالي فاليقين بأيِّ نصٍّ خارج دفتي كتاب الله تعالى بدرجة اليقين بكتاب الله تعالى ، هو خروج على دلالات قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾

.. هذا من جهة ... ومن جهة أُخرى .. لا يمكننا أن نفرض تصوّراتنا في عالم الدنيا على نواميس الآخرة ، فأجسادنا في الآخرة مختلفة تماماً عنها في الدنيا ، ونواميس أرض الآخرة وسماواتها مختلفة تماماً عن أرض الدنيا وسماواتها .. يقول تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨]

.. وحتّى النعيم في الآخرة وما سيلقاه أهلُ الجنّة في الجنّة ، لا نستطيع الوقوف على حقيقته .. يقول تعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

.. فكيف إذاً يمكننا الوقوف على حقيقة مسألة كبيرة جداً ، كرؤية الله تعالى في الآخرة ؟!!! .. لذلك أنا أميل إلى عدم الجزم بأيٍّ من هذين الرأيين المتناقضين ، فسواءٌ الذين جزموا بعدم رؤية الله تعالى في الآخرة ، أم الذين جزموا برؤيته جلَّ وعلا في الآخرة ، كلٌّ منهم لم يتّكئ على دليلٍ صريحٍ في كتاب الله تعالى ..

أمّا بالنسبة لاستحالة رؤية الله تعالى في الدنيا فنحن نجزم بها جزماً قاطعاً ، وفي طلب موسى عليه السلام تلك الرؤية وإجابة الله تعالى عليها كما رأينا لأكبر دليلٍ على ذلك ..

.. لقد بيّنا كيف أنَّ رؤيةَ الله تعالى في الدنيا مستحيلة ، وبيّنا كيف أنَّه لا دليل في كتاب الله تعالى على حصولها في الآخرة ، وفنَّدنا تلك المزاعم التي يذهب إليها من ينتمون لمذاهبهم وطوائفهم ومشايخهم وعصبيّاتهم أكثر من انتمائهم لكتاب الله تعالى ..

وبيّنا كيف أنَّ رؤية الله تعالى في الدنيا تُلْحِق النقائض والنقائص بالله تعالى ، كونها تقتضي تحيّزاً للذات الإلهيّة ، وخضوع الذات الإلهيّة للمكان والزمان ، والله تعالى مترّهٌ عن كلِّ ذلك ..

هذا في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هذا في كتاب الله تعالى الذي تكفَّل الله تعالى بحفظه ، هذا في كتاب الله تعالى الذي لا يُوجَد فيه اختلاف بين أحكامه .. ولكن .. الأمر في الروايات مختلفٌ كثيراً عمّا هو في كتاب الله تعالى .. ولتبيان هذه الحقيقة للنظر في الروايات التالية ، كيف تحمل تجسيداً لا ينسجم أبداً مع تنزيه الذات الإلهيّة الذي يحمله كتاب الله تعالى ..

أحمد (٢٤٤٩) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي أَمْلَى عَلَيَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

أحمد (٢٥٠٢) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الدارمي (٢٠٥٦) حسب ترقيم العالميّة :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ اللَّجْلَاجِ وَسَأَلَهُ مَكْحُولٌ أَنْ يُحَدِّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى فَقُلْتُ أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ قَالَ فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَلَا وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ

.. في الحديث الأخير نرى أكثر من مشكلة ، فإضافة إلى رؤية الله تعالى [[رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ]] ، نرى تجسيداً آخر [[فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ]] ، ونرى مشكلة أُخرى هي الزعم بأنَّه ﷺ عَلِم ما في السماوات والأرض [[فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]] .. وكلُّ ذلك ينقضه القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً .. فقول الله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، ينفي تماماً ما تمَّ وضعه على النبيّ ﷺ بأنَّه قال [[رَأَيْتُ رَبِّي]] ..

.. وقول الله تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠]

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩]

.. هذا القول وغيره في كتاب الله تعالى ، ينفي تماماً ما تمَّ وضعه على النبيِّ ﷺ بأنَّه قال [[فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]] ..

.. هذه الروايات التي ينقضها القرآن الكريم ، تنقضها أيضاً بعض الروايات مثل الرواية التالية ..

البخاري (٢٩٩٥) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ أَنْبَأَنَا الْقَاسِمُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ

.. فالقول المنسوب لعائشة زوج النبيِّ ﷺ : [[مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ]] واضحٌ وبيِّنٌ في نفي مضمون الروايات السابقة ..

.. إذاً .. نحن أمام روايات متناقضة ، الكثير منها ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ..

.. ورائحة التجسيد نشمُّها أيضاً في الرواية التالية ..

مسلم (٥٠٧٥) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ قَالَ فَذَهَبَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ

وقد ورد هذا الحديث أيضاً عند البخاري ..

البخاري (٥٧٥٩) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ

ولننظر في النصّين التاليين المقتطعين من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فيما يخصُّ هذا الحديث ..

[[واختُلِف إلى ماذا يعود الضمير ؟ فقيل : إلى آدم أي خلَقَه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات ، دفعاً لِتوهُّم من يظُن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى .....]]

[[وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه " على صورة الرحمن " والمراد بالصورة الصفة ، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء]]

إعادة الضمير في كلمة [[صُورَتِهِ]] في العبارة [[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ، إلى آدم عليه السلام هي تخريجٌ لا تُسعفه صياغةُ نصِّ الرواية ، فكلُّ المخلوقات التي خلقها الله تعالى خلقها على صورتها ، وليس فقط آدم عليه السلام ، وفي هذه الأحاديث الموضوعة لم نر العبارة ((خُلِقَ آدمُ على صورته)) ، إنّما نرى العبارة [[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ، ولذلك نرى كيف أنَّ بعضهم أعاد الضمير في كلمة [[صُورَتِهِ]] إلى الله تعالى ..

إنَّ إعادة الضمير في العبارة [[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] من هذه الأحاديث الموضوعة إلى آدم ذاته ، بمعنى خلق الله تعالى آدم على صورة آدم التي خُلق بها ، يحتاج إلى

صياغة أُخرى غير هذه الصياغة ، وهو تأويل غير سليم لهذه الصياغة التي ترد بها في هـــذه الأحاديث .. وكما قلنا : على الأقل لو كان تأويلهم صحيحاً لجاءت العبـــارة ((خُلِـــقَ آدمُ على صورتِه)) بصيغة المبني للمجهول ..

.. ورأينا أنَّه هناك من أدرك أنَّه لا يمكن إعادة الضمير إلى آدم ، ولذلك أعـــادوه إلى الله تعالى ، وهذا ما رأيناه في شرح هذا الحديث في كتاب فتح البارح بشـــرح صـــحيح البخاري : [[وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه " على صورة الرحمن "]] ، ولكنَّهم ذهبوا مذهباً آخر لا تسعفه صياغة الحديث ، فقد أوَّلوا كلمة [[صُورَتِهِ]] بقولهم : [[والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحيـــاة والســـمع والبصر وغير ذلك]] ، وهنا يحقُّ لنا أن نسأل : كيف نوفِّق بين هذا التأويـــل وبـــين العبارة في الحديث ذاته : [[طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

كيف بنا أن نربط الجملة [[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] بالجملة التالية لها مباشرة [[طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] بناء على تأويلهم بأنَّ صورتَه تعني صفتَه من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

.. أليس الضمير في كلمة [[صُورَتِهِ]] يعود – حتى عند بعض شرّاح الحديث – إلى الله تعالى ؟ .. أليس الضمير في كلمة [[طُولُهُ]] يعود إلى آدم المخلوق – حسب هذه الرواية – على صورة الله تعالى ؟ .. أليست العبارة [[طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] تتعلَّق بشكلٍ أو بآخر – حسب هذه الرواية – بصورة الله تعالى ؟ .. ألا يسيء ذلك للذات الإلهيّة ويتعارض مع ما يصف الله تعالى به ذاته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ؟ ..

كيف إذاً من الممكن اعتبار هذه الأحاديث صحيحة بهذه الصياغات اللغويّة ؟!!! .. وكيف يهرب شرّاح هذه الروايات من حقيقة صياغتها اللغويّة التي لا تحمل للذات الإلهيّة إلاَّ الإساءة ، عبر وصف الذات الإلهيّة بالتجسيد والتحجيم ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

.. وفي ذات سياق هذه المسألة ، لننظر إلى الحديث التالي ..

مسلم (٤٧٣١) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ الْمُثَنَّى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حَاتِمٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ

أحمد (١٠٣١٤) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ أَخْبَرَنَا الْمُثَنَّى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ

.. وهنا – أيضاً – لا بدَّ لهم من القول بأنَّ الضمير في كلمة [[صُورَتِهِ]] في العبارة [[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ، لا بدَّ لهم من القول بأنَّه يعود إلى صورة المضروب ، وذلك هروباً من مواجهة الاستحقاق الذي تفرضه صياغة هكذا روايات بأنَّها موضوعة !!! .. بمعنى : إذا قاتل أحدكم أحداً آخر فليبتعد عن ضرب وجهه ، لأنَّ الله تعالى خلق آدم على صورة هذا المضروب ، وذلك تقتضيه مناسبة ورود العبارة [[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] مبتدأة بحرف الفاء وخلف العبارة [[إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ]] مباشرة ، وإلاَّ لا معنى من ترتيب هذا الورود في هذا السياق بهذه الصياغة اللغويّة .. هكذا يهربون من مواجهة استحقاق كون هذه الروايات موضوعة ، وتحمل الإساءة للذات الإلهيّة ..

.. في العبارة [[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] تحايل بعضهم – كما رأينا – على دلالاتها بأنَّ الضمير في كلمة [[صُورَتِهِ]] يعود إلى آدم ؟!!! ..

ولكن هنا في العبارة [[إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ما مناسبة ذكر آدم عليه السلام ؟!!! .. وماذا نقول لمن يفهم هذه الرواية – ومن حقّه أن يفهم ذلك – بأنَّها تحمل تشبيهاً وتجسيديّاً للذات الإلهيّة ؟!!! .. وماذا نقول له إن قال لنا : إنَّ تأويلكم الذي تأتون به من جيوبكم تناسبه العبارة [[فإنَّ الله خلق المضروب على صورة آدم]] ، وليس كما في تأويلكم [[فإنَّ الله خلق آدم على صورة المضروب]] ، لأنَّ آدم عليه السلام خلقه الله تعالى قبل هذا المضروب وليس بعده ، ومن الطبيعي أنَّ المخلوق لاحقاً هو من يُخلَق على صورة المخلوق سابقاً وليس العكس ؟!!! .. وهل نكون قد أجبناه بالحجّة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة حينما نقول له : طلِّق عقلك واسكت حتى لا تُتَّهم بأنَّك منكرٌ للسنّة الشريفة .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

كيف يكون معنى العبارة الواردة في الحديث الموضوع [[عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ، كيف يكون معناه : فإنَّ الله تعالى خلق آدم على صورة هذا المضروب ، وهذا المضروب خُلق بعد آدم عليه السلام بقرون ؟!!! .. كيف ؟!!! ..

وكيف يكون معنى العبارة في هذا الحديث الموضوع : [[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ، فإنَّ الله تعالى خلق آدم على صورة آدم كما رأينا من تأويلٍ لبعضهم ؟!!! .. وكيف يكون معنى العبارة في هذا الحديث الموضوع [[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]] ، فإنَّ الله تعالى خلق آدم على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر كما ورد في تفسير بعضهم [[وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه " على صورة الرحمن "]] ، في الوقت الذي يقرؤون فيه في هذه الروايات بل وفي عبارة تالية لهذه العبارة مباشرةً بأنَّ طولَه ستون ذراعاً : [[وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] .. كيف ؟!!! ..

أليس الضمير في كلمة [[صُورَتِهِ]] والذي يعود في هذه الرواية الموضوعة إلى الله سبحانه وتعالى ، أليس يقتضي ذلك إعادة الضمير في كلمة [[طُولُهُ]] إلى الله تعالى ؟!!! .. أليس ذلك يقتضي ربط العبارة [[سِتُّونَ ذِرَاعاً]] بالله تعالى ؟!!! .. فأيُّ إساءة لله تعالى تلك الإساءة التي تُفْرَضُ بها هذه الروايات على منهج الله تعالى ..

من هنا ندرك معنى قول الله تعالى :

﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦]

ومن هنا نُدرك أنَّ رفعَ أيِّ نصٍّ خارج دفتي كتاب الله تعالى إلى مستوى الإيمان بكتاب الله تعالى ، هو كفرٌ بدلالات قوله تعالى : ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ..

ومن هنا نُدرك معنى قوله تعالى :

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

فإذا كان النبيُّ ﷺ ذاته ليس له مرجع أو مآل إلاَّ القرآن الكريم ، فماذا يكون لنا نحن من بعده ﷺ ؟!!! .. وكيف تُفْرَضُ دلالات روايات ظنيّة الثبوت على دلالات كتاب الله تعالى .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ..

.. عندما نُحوِّل التاريخ برواياته ورجالاته إلى منجمٍ لصناعة الأقنعة المذهبيّة والطائفيّة ، وعندما نلتفُّ على نصوص كتاب الله تعالى لموافقة تلك الروايات ، وعندما نلتفّ على نصوص الروايات التاريخيّة ذاتها لموافقة أهواء مسبقة الصنع ، ولذرّ الرماد في الأعين انتصاراً لتلك الأهواء والعصبيّات ، فإنّنا بذلك نُعرض عن حقيقة منهج الله تعالى ،

ونُدْخِل أبناء الأمّة في تيهٍ فكريٍّ ، ونُغْرِق مستقبلَها في مستنقعات ماضيها .. وبالتالي نُخرجها من التاريخ كأمّةٍ فاعلةٍ فكريّاً وحضاريّاً ..

إنَّ المتاجرة بالسنّة الشريفة ، وأن يُشترى بآيات الله تعالى ثمناً قليلاً ، ذلك هو إفلاسٌ فكريٌّ ، ناتجٌ عن عدم امتلاك الحجج والبراهين في مواجهة الآخر ، وإنتاجٌ لحالةٍ تذوب فيها القيم ، وينمو فيها الكذب على حساب الصدق ، والتهريج على حساب الفكر ..

.. وما دمنا في سياق الحديث عن تنزيه الذات الإلهيّة ، وفي سياق تفنيد ما لُبِّس على الله تعالى وصفاته العظيمة من أشياء ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، أودّ الوقوف عند الكلمات الحاملة لصفات الله تعالى في القرآن الكريم ، وتبيان فساد فرض بعض الكلمات على أنَّها صفات للذات الإلهيّة ، وهي كلمات لم ترد في كتاب الله تعالى على أنَّها صفات للذات الإلهيّة ..

إنَّ الكلمة القرآنيّة تصف وصفاً مطلقاً حقيقة الموصوف بها ، فتأتي اسماً ، وتأتي صفةً ، وتأتي اسماً وصفةً في الوقت ذاته .. وهي دائماً تستمدّ معناها من إطار المعنى الذي يحمله جذرها اللغوي الذي تفرَّعت عنه ..

ولا بدَّ من التمييز بين أمرين هامّين : هل الكلمة هي اسم ذات لمن تصفه ؟ .. أم هي اسم صفة ؟ .. الفارق بين الأمرين كبير .. وعدم إدراك هذا الفارق يؤدِّي إلى عدم إدراك دلالات الكثير من آيات كتاب الله تعالى ..

.. اسم الذات لا يصف إلاَّ ذاتاً واحدة ، وهو اسم ذات لها واسم صفة خاصّة بها تميّزها عن غيرها من الذوات الأُخرى ..

بينما اسم الصفة ، فقد يصف أكثر من ذات تتّصف بهذه الصفة .. وفي الوقت ذاته ، الذات الموصوفة بهذه الصفة ، قد تتّصف بصفات كثيرة من الممكن أن تُعطَف على هذه الصفة ..

.. إنَّ وصف الذات بعدّة صفاتٍ تتفرّعُ عن جذورٍ مختلفة ، لا يعني تجزئة هذه الذات أو تِعدادَها .. ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ اشتراك الذات في صفة من صفاتها مع ذواتٍ أُخرى عبر اسم صفة متفرّع عن جذرٍ لغويٍّ ما ، لا يعني إلغاء هويّة هذه الذات وذوباتها في الذوات التي تشترك معها بهذه الصفة ..

.. عدم إدراك هذه الحقيقة القرآنيّة جعل بعضهم في موقعٍ تختلط عنده الأمور لدرجة لا يُدرك فيها الخطَّ الفاصل بين كون الكلمة اسمَ ذات وبين كونها اسمَ صفة ..

.. ولذلك .. هناك من ربط صفات القرآن الكريم (الكتاب ، الفرقان .....) بأقسامٍ خاصّةٍ متميّزة من القرآن الكريم ، وكأنَّ هذه الصفات أسماء ذوات .. وهناك من أنكر ذواتٍ ذُكرت في القرآن الكريم (كالجن ، النمل ، الهدهد .....) فزعموا أنَّ هذه الكلمات هي أسماء صفات لبعض البشر ، متجاهلين الصور القرآنيّة المحيطة بهذه الكلمات والتي تُثبت – بشكلٍ لا لبس فيه – أنّ هذه الكلمات هي أسماءُ ذات وليست أسماءَ صفات للكائنات التي تسمّيها هذه الكلمات ..

ولنقف عند بعض الأمثلة لنرى كيف أنَّ إدراك حقيقة الكلمة كونها اسمَ ذات أو اسمَ صفة ، هو أمرٌ ضروريٌّ لإدراك الدلالات الحقّ للكلمة وللصورة القرآنيّة المحيطة بها ..

.. كلمة ﴿ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ في كتاب الله تعالى لا تعني إلاّ الكتاب الذي نزّله الله تعالى على الرسول محمّد ﷺ ، ولا تعني أيَّ كتابٍ آخر .. وكلمة ﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ لا تعني إلاّ الكتاب السماوي المعروف الذي أنزله الله تعالى على بني إسرائيل ، ولا تعني أيَّ كتابٍ سماويٍّ آخر .. وكلمة ﴿ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ لا تعني إلاّ الكتاب الذي آتاه الله تعالى لعيسى عليه السلام .. ولذلك عندما يريد الله تعالى أن يُبيّن لنا مسألة ترتبط بالكتب السماويّة الثلاثة ، كذوات مستقلّة ، يأتي بأسمائها الثلاثة ، ولا يأتي بصفاتها التي تتداخل بينها ..

﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة : ١١١]

.. أمّا أسماء الصفات (الكتاب ، الفرقان ، النور .....) فهي أسماء صفات لهذه الكتب السماويّة ، كلّ اسم صفة منها يصف أكثر من كتاب .. فكلمة ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ وردت في القرآن الكريم اسم صفة للقرآن الكريم ..

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢]

وأتت – أيضاً – اسم صفة للكتاب الذي آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام ..

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٥٣]

.. وأتت – أيضاً – اسم صفة للكتاب (الإنجيل) الذي آتاه الله تعالى لعيسى عليه السلام ..

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٣٠]

والكتابُ جُعل في ذريّة نوحٍ وإبراهيم عليهما السلام ..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٦]

والفرقان آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام كما أنّه آتاه الكتاب كما رأينا ، وكذلك آتاه الله تعالى – أعني الفرقان – لهارون عليه السلام ..

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٥٣]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨]

والفرقان نزّله الله تعالى على الرسول محمّد ﷺ ..

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]

.. وصفة ﴿ ٱلنُّورَ ﴾ (بأل التعريف) بالنسبة للرسالات السماويّة لم ترد إلاّ للقرآن الكريم ..

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن : ٨]

.. أمّا ورود كلمة ﴿ نُورٌ ﴾ (بصيغة نكرة) فقد وردت للرسالات السابقة وللرسالة الخاتمة ..

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ ﴾ [المائدة : ٤٤]

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤]

وصفة الروح لم ترد إلاّ لكتاب الله تعالى القرآن الكريم من بين الكتب السماويّة ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢]

.. والروح صفةٌ تعني الصلة والمدد والقربى من الله تعالى ، وقد وُصف القرآن الكريم بصفة : ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ بأل التعريف في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ .. ولو عدنا إلى السياق القرآني التالي لهذه العبارة القرآنيّة لرأينا أنّه يتمحور حول كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٨٥ – ٨٩]

.. وصفة ﴿ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ هي صفة خاصّة فقط بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وقد بيّنت ذلك في كتبي بالتفصيل وبالأدلّة اللغويّة والعدديّة المتّكئة على أبجديّة قرآنيّة مستنبطة من كتاب الله تعالى ، من مقدِّماتها إلى نتائجها ..

.. إذاً .. يُمكن للصفة الواحدة أن تصفَ أكثر من كتابٍ سماويّ ، ويمكن أن تختصَّ بكتابٍ سماويٍّ واحد كما هي صفة ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾ التي تصف كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وكذلك صفة ﴿ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ .. ولا يمكن لهذه الصفات أن تكونَ أسماءَ ذات .. كيف يكون ذلك وقد عُطِفَت على بعضها في وصف الكتب السماوية ، فقد عُطفت صفتا الكتاب والفرقان في وصف المنهج الذي آتاه الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ

﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٥٣] .. وعُطفت صفتا النور والكتاب في وصف القرآن الكريم :

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥]

.. وَعَطْفُ الصفات على بعضها في وصف ذاتٍ واحدة نراه في الآية الكريمة التالية ، التي تُعْطَف فيها أربع صفات على بعضها في وصف الذات الإلهيّة ..

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣]

وهنا نسأل من راح يجعل أسماء الصفات للقرآن الكريم أسماء ذات وراح يجعل عطْفَها على بعضها عطْفاً لأجزاء متباينة من كتاب الله تعالى ، كما في قوله تعالى :

﴿ طسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : ١]

.. نسألهم : هل عطف صفة ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ على صفة ﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ على صفة ﴿ وَالْآخِرُ ﴾ على صفة ﴿ الْأَوَّلُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ هل هو عطفٌ لذواتٍ مختلفة ، تعالى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وهل الذات الإلهيّة مكوّنة من أجزاء متباينة بحيث تصف كلُّ كلمة من هذه الكلمات المعطوفة على بعضها جزءاً منها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؟!!! .. أم هو عطفٌ لصفات تتّصف بها الذات الإلهيّة ؟ .. بالتأكيد ودون أدنى شكٍّ هو عطفٌ لصفات تتّصف بها الذات الإلهيّة ..

.. وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ أسماء الصفات لله تعالى لا بدّ أن تكون موجودةً في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وبأل التعريف ، أمَّا أن يتمَّ إعراضُ بعضهم عن بعض أسماء الصفات لله تعالى بسبب غفلة بعض السابقين عنها ، مثل الصفات : [﴿ الْقَدِيرُ ﴾ ، ﴿ الْقَاهِرُ ﴾ ، ﴿ الْمَوْلَى ﴾ ، ﴿ النَّصِيرُ ﴾ ، ﴿ الْمُسْتَعَانُ ﴾ ، ﴿ الْأَكْرَمُ ﴾] .. فهذا

ابتعادٌ عن منهج كتاب الله تعالى ..... إنَّ هذه الكلمات الواردة في كتاب الله تعالى كأسماء صفات لله تعالى ، تمَّ الإعراض عنها حين تحديدهم لصفات الله تعالى ، على الرغم من ورودها معرَّفة بأل التعريف كأسماء صفات لله تعالى في كتابه الكريم ..

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤]

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨]

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠]

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨]

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٣ – ٥]

.. وبالمقابل .. فقد وُضعت كلمات على أنَّها صفات لله تعالى ، وهي لا وجود لها في كتاب الله تعالى ، مثل : [[الغار ، الجليل ، العدل ، الرشيد ، المنتقم]] ..

.. ما دفع إلى كلِّ ذلك هو الإعراض عن المنهج السليم في التدبّر الحقّ لكتاب الله تعالى ، إضافة إلى اعتبار قول فلان وقول علاّن وما ورد في الموروث بما يحمل من غث ، معياراً لكتاب الله تعالى ..

.. ولإدراك جانبٍ من منهج البحث القرآني في النظر إلى أسماء الصفات ، وتعلّقِ ذلك بالسياق القرآني المحيط بالكلمات القرآنيّة ، وبحيثيّات تصريف الكلمات القرآنيّة .. لإدراك ذلك ، سنأخذ المثال التالي ..

.. في كتاب الله تعالى علينا أن نُميِّزَ بين كلمة ﴿ ٱلزُّرَّاع ﴾ التي تتعلّقُ في كتاب الله تعالى بالبشر ، حيث هذه الكلمة على وزن (فُعَّال) ، وتصف لنا الجهد البشريّ في تهيئة الأرض والبذور من أجل الإنبات ، ولا تتعلّق – أبداً – بمسألة الإنبات :

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ [الفتح : ٢٩]

.. علينا أنَّ نميّز بين هذه الكلمة ﴿ ٱلزُّرَّاع ﴾ وبين كلمة ﴿ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ التي هي على وزن (فاعلون) ولا تتعلّق إلاّ بالذات الإلهيّة ، كونها تصف لنا فعل الإنبات الذي لا يقدر عليه إلاّ الله سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٣ – ٦٤]

فكلمة ﴿ ٱلزُّرَّاع ﴾ على وزن (فُعَّال) ، تصف لنا الجهد البشريّ في تهيئة الأرض والبذور كإعداد من أجل أن يبدأ الإنبات .. بينما كلمة ﴿ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ التي هي على وزن (فاعلون) ، نرى أنَّها تتعلّق بالذات الإلهيّة ، فهي تصف لنا مسألة الإنبات التي لا يقدر عليها إلاّ الله سبحانه وتعالى ..

وهذه المسألة نجد – في كتاب الله تعالى – مسألةً قريبةً منها ، ولكنَّها مختلفةٌ عنها كتعلّق بالله تعالى وبالبشر ، من زاوية معيار تصريف الكلمات .. فكلمة ﴿ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ التي هي على وزن (فَعَّال) ، تأتي صفةً لله تعالى ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨]

.. فهذه الكلمة ﴿ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ التي هي على وزن (فَعَّال) ، تصف لنا تهيئة الأسباب المنتجة للرزق وتسخيرها ، تلك التهيئة التي تعمل بقدرة الله تعالى ، وهذا لا يكون إلاّ لله تعالى ، فكلُّ أسباب الرزق تعود إلى الله تعالى وتعمل بقدرته .. بينما كلمة ﴿ ٱلزُّرَّاع ﴾ وهي على وزن (فُعَّال) ، رأيناها تتعلّقُ بالبشر ، حيث هذه الكلمة تصفُ لنا الأسباب التي يبذلها الإنسان في تهيئة الأرض من أجل الإنبات ، فهذه الصفة هي للبشر ..

وصفة ﴿ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ التي هي على وزن (فاعلين) ، تأتي صفةً لله تعالى وللبشر ..

﴿ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة : ١١٤]

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الحج : ٥٨]

﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ٧٢]

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩]

﴿ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة : ١١]

.. فكلمة ﴿ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ التي هي على وزن (فاعلين) ، تصف لنا صورةَ تداول الرزق بين البشر ، وهنا يكون للإنسان جزءٌ في ذلك عبر إعطاء الآخرين من رزقه .. بينما صفة ﴿ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ التي هي على وزن (فاعلون) رأينا أنّها لا تتعلّق إلاّ بالذات الإلهيّة ، كونها تصف لنا صورةَ فعل الإنبات بعد تهيئة الأسباب لهذا الإنبات ، وهذا (الإنبات) لا يقدر عليه إلاّ الله تعالى ..

.. إذاً .. عودة الصفة المعنيّة لله تعالى ، أو للبشر ، لا تتوقّف على تصريفها ، إنّما تتعلّق بماهيّة المسألة ، وبموقعها من قدرة الله تعالى وتسخير الأسباب في إيجادها .. والمرجع الأوّل والأخير في كلّ ذلك هو كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. وأختتم هذه الحلقة بالقول : إنَّ ما يتمُّ تداوله من أسماء تُنسَب لله تعالى ، فيها أسماء لم ترد في كتاب الله تعالى بأل التعريف ، مثل : [الضار ، الجليل ، العدل ، الرشيد ، المنتقم ، .....] ، وهذه الأسماء لا دليل على أنَّها أسماء صفات لله تعالى .. ولو أردنا استنباط أسماء صفات لله تعالى بناء على ورود أفعال لهذه الأسماء في كتابه الكريم ، لاستنبطنا الكثير من الأسماء ..

.. إنَّ ورود فعلٍ في كتاب الله تعالى يتعلَّق بمسألة ما ، لا يُبيحُ لنا أن نأتي من جيوبنا بكلمة لم ترد في كتاب الله تعالى بأل التعريف كصفة لله تعالى ، بحجّة أننا أتينا بها كمشتقٍّ من ذات الجذر اللغوي الذي تفرَّع منه هذا الفعل ..

.. أسماء الصفات لله تعالى هي الأسماء التي تصف الذات الإلهيّة ، والتي ترد بأل التعريف في كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. وبالمقابل .. هناك أسماء صفات لله تعالى، تمّ الإعراض عنها على الرغم من ورودها في القرآن الكريم معرّفةً بأل التعريف كصفة لله تعالى مثل [﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ ، ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ ، ﴿ٱلْمَوْلَى﴾ ، ﴿ٱلنَّصِيرُ﴾ ، ﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ ، ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾] ..

ونعود فنقول : كتاب الله تعالى هو المعيار لفكرنا وثقافتنا وفقهنا ، وكلُّ ما خالف كتابَ الله تعالى هو باطل ..

المهندس عدنان الرفاعي